مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد4، (السداسي الثاني 2022م)، ص. 77- 102

عدد خاص بالملتقى الدولي:

"العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري"

دور تدريس العلوم الإسلامية في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بالجزائر (1920- 1945)

The role of teaching Islamic sciences in the cultural resistance to French colonialism in Algeria (1945- 1920)

نوال موساوي[*1]، أ.د بشير قلاتي[2]

[1]جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة (الجزائر)

nmoussaoui31@yahoo.com

[2]جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة (الجزائر)

Almadanibachirislam65@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/20 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر:2022/07/30

ملخص:

يعرف هذا المقال بإشكالية تتعلق بدور تدريس العلوم الإسلامية في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بالجزائر، حيث يعتبر التعليم وخاصة التعليم العربي الحر في الجزائر في مرحلة ما بين 1920- 1945 أحد أهم الوسائل والأساليب التي استند إليها رجال الفكر والإصلاح لمواجهة الجهل وإحداث التغيير في المجتمع، وتضمن هذا التعليم تدريس العلوم الإسلامية كنوع من المقاومة الثقافية للاحتلال الفرنسي الذي استهدف كلا من اللغة العربية والدين الإسلامي، وقد بين البحث واقع التعليم في الجزائر خلال الفترة المذكورة آنفا، وكشف عن بعض الجهود التي بذلها رجال الإصلاح في تدريس العلوم الإسلامية ونشر التعليم العربي وأبرزَ بعض ما أسفرت عنه تلك الجهود في تدريس العلوم الإسلامية في مقاومة الاحتلال الفرنسي حينها.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية؛ المقاومة الثقافية؛ التعليم العربي الإسلامي؛ التعليم الحر.

[*] المؤلف المرسل

Abstract :

This article defines the problem related to the role of teaching Islamic sciences as a means of cultural resistance to French colonialism in Algeria. Education, especially Arab education in Algeria in the period between (1920-1945), Is one of the most important means and methods that the reformers relied on to confront ignorance and bring about change in society. This education included the teaching of Islamic sciences as a kind of cultural resistance to the French occupation, which targeted both the Arabic language and the Islamic religion. The research showed the reality of education in Algeria during the aforementioned period, and revealed some of the efforts made by reformers in teaching Islamic sciences and spreading Arabic education, and highlighted some of the results of those efforts in teaching Islamic sciences in resisting the French occupation at the time.

Keywords: Islamic sciences; cultural resistance; Arab-Islamic education; free education.

- **مقدمة:**

يعتبر التعليم وسيطا تاريخيا لتناقل الخبرات والمعارف والعلوم بين مختلف الأجيال والشعوب، لأنه بالعلم يرتقي الإنسان وتهذب شخصيته ويتسع أفق فكره ووعيه، والتعليم منفذ لبث الروح الوطنية وزرع القيم الخلقية، ومسلك لترسيخ الهوية الدينية، وبه يتشكل رجل الغد الذي سينهض بالمجتمع ويرقى به، تلك هي أهمية العلم والتعليم.

ولقد أدرك رجال الإصلاح في الجزائر أهمية العلم والتعليم في تقدم الشعب الجزائري وترقيته فنجد رجل الإصلاح عمر بن قدور الجزائري على غرار غيره من المفكرين الإصلاحيين ممن عاصروه أو كانوا بعده يطالب الحكومة الفرنسية بإجبارية تعليم الشعب مع ضرورة فتح مدارس حرة تربوية تجمع بين العلم الديني أو ما سماه بالتعليم الإسلامي والمحتوى الاقتصادي من خلال مقاله: "صوت العلم" في جريدة الأخبار بتاريخ 31 ماس 1908.

لذلك يعتبر التعليم وخاصة التعليم العربي الحر في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين في مرحلة ما بين 1920- 1945 أحد أهم الوسائل والأساليب التي استند إليها رجال الفكر والإصلاح لإحداث التغيير في المجتمع، ورغم المراسيم القانونية الفرنسية المشددة فقد نجحوا في فتح مدارس مثل: مدرسة جمعية الشبيبة الإسلامية الجزائرية بالجزائر سنة 1923، ومدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936، ومدرسة دار الحديث بتلمسان سنة 1936، ومدرسة الرشيدية بشرشال 1937 وغيرها من المدارس لتعليم وتهذيب أكبر عدد ممكن من أبناء الجزائر

الذين طالهم الجهل الممنهج من قبل الحكومة الفرنسية التي اجتهدت في استبدال العقيدة الإسلامية السوية بالبدع والخرافات، وقادتهم إلى أوحال التخلف على كل المستويات وخاصة المستويين الاجتماعي والأخلاقي المرتبطان ارتباطا لا ينفك بالجانب العلمي.

وأمام هذا التجهيل المتعمد والغزو الفكري المتسرب من مؤسسات التعليم الفرنسية اتخذ رجال الفكر والإصلاح لتعليمهم مناهج ومقررات تضم العلوم الإسلامية لدورها في تعزيز تكوين أبناء الجزائر، وأهميتها في المحافظة على مقومات الهوية الجزائرية كالدين واللغة العربية، ولتخريج جيل من الجزائريين قادر على مواجهة التحديثات التي فرضها المستعمر الفرنسي عليهم، وتحملوا في سبيل تأسيس مدارس التعليم الإسلامي الصعاب وتحدوها لتحقيق ذلك.

فاختيار تدريس العلوم الإسلامية لأبناء الجزائر في مدارس التعليم العربي –الإسلامي وقتئذ يدل على أهميتها ودورها في المقاومة الثقافية للاحتلال الفرنسي، وهو ما دفع بنا لاختيار موضوع: "دور تدريس العلوم الإسلامية في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بالجزائر1920 -1945" لإبراز الأثر والدور التاريخي للعلوم الإسلامية في النهوض الحضاري بالمجتمعات، وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية الرئيسية الآتية: ما هو دور تدريس العلوم الإسلامية في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بالجزائر؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات منها:

- ما هو واقع التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1920 -1945 ؟
- ما هي تحديات تدريس العلوم الإسلامية وآليات التعامل معها ما بين 1920 -1945؟
- ما هي الجهود التي بذلت في تدريس العلوم الإسلامية في الفترة الاستعمارية 1920 -1945 ومواجهة التحديات؟
- ما هي نتائج تدريس العلوم الإسلامية في الفترة الاستعمارية 1920 -1945؟

ومن أهداف الحديث عن هذا الموضوع:

- التعريف بواقع التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1920 -1945.
- التعرف على المعيقات والتحديات التي واجهت تدريس العلوم الإسلامية في الفترة الاستعمارية المذكورة.
- الكشف عن الجهود التي بذلت وقتها في تدريس العلوم الإسلامية ومواجهة التحديات.
- معرفة دور ونتائج تدريس العلوم الإسلامية في مقاومة الاحتلال الفرنسي حينها.

وأما عن المنهج المتبع في دراسة الموضوع والإجابة عن الإشكالية وتساؤلاتها الفرعية وتحقيق الأهداف المعلن عنها فهو المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي.

المبحث الأول: واقع التعليم في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1920- 1945م:

عرض الدكتور أبو القاسم سعد الله بعض التقارير الفرنسية حول وضعية التعليم في الجزائر كتقرير أوغيست ليبيشو، وتقرير الجنرال بيدو، وجميعها ينوّه بظاهرة عامة لاحظها الفرنسيون عندما احتلوا الجزائر وهي انتشار الكتابة والقراءة وحفظ القرآن في المدن كما في الأرياف، وفق برنامج موحّد يقوم على دراسة العلوم الإسلامية باللغة العربية، "وهو تعليم عربي من حيث اللغة والثقافة، وتعليم إسلامي من حيث المحتوى والروح"، من خلال ثلاثة مستويات هي: الابتدائي، الثانوي، التعليم العالي، وهو تعليم حر مستقل كان يعتمد على الأوقاف في تدبير شؤونه، وهذا في مختلف مناطق الجزائر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، تقوم به الزوايا والمساجد والكتاتيب والمدارس التي كانت منتشرة في كل مكان[1].

لقد قدمت هذه التقارير وصفا للتعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بأنه:

- تعليم مستقل يعتمد في أغلب شؤونه على الأوقاف وتبرعات السكان وخاصة الأغنياء منهم.
- تعليم متاح للجميع لا يميز بين أفراد المجتمع مهما كان وضعهم الاجتماعي.
- تعليم يعبر عن الهوية العربية والإسلامية للجزائريين ويرتبط بعقيدتهم.

وفي نهاية هذا العرض تساءل الدكتور أبو القاسم سعد الله ونحن نشاركه التساؤل: ماذا حل بالتعليم (العربي- الإسلامي) بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

يقول الكاتب الفرنسي ويولار: "لقد أشاع دخول الفرنسيين إلى الأوساط العلمية والأدبية اضطرابا شديدا، فهجر معظم الأساتذة الأفذاذ مراكزهم هاربين"[2]، إن في هذا الكلام دلالة واضحة على حصول تغييرات ذات أثر فيما يخص التعليم في الجزائر.

فغداة الاحتلال تمت السيطرة على الأوقاف بقرار من الجنرال "كلوزيل" قائد جيوش الحملة الفرنسية[3]، وهي تشكل مصدر تمويل أساسي لمختلف المنشآت التعليمية في الجزائر وللقائمين عليها، وفي سنة 1846م لم تبق في العاصمة إلا زاوية واحدة من أصل ستة زوايا و14 مدرسة من أصل حوالي مائة مدرسة سنة 1830م، وفي قسنطينة لم يبق سوى ثلاثين مدرسة ابتدائية من أصل تسعين سنة 1847م[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 24 وما بعدها.

[2] خير الدين بن ترزي، التعليم في الجزائر خلال فترة الاحتلال، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج4، ع7، المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة، الجزائر، 2013م، ص 102.

[3] محمد خالد اسطنبولي، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وبعده الحضاري لثورة نوفمبر، مجلة المعيار، مج2، ع4، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003م، ص 160.

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 22، 23، 27.

وبعد سنة 1850م فرض الفرنسيون اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية، ومدرسة ترشيح المعلمين والمدارس الشرعية، وشجعوا الدارجة، وحذفوا بعض أبواب الفقه، وأمروا بتحفيظ القرآن دون تفسير، وتم هدم ونهب المكتبات والمساجد والزوايا والمدارس أثناء الثورات (1857، 1864، 1871م)، وألقت الجوائح والأزمات الاقتصادية بين 1867- 1869م بآثارها السلبية على الجانب الاجتماعي ومنه التعليم[5].

لم تُبد فرنسا اهتماما مبكرا بتشييد المدارس ونشر العلم رغم ادعائها أنها تنشر الحضارة والرقي، إلا أنها عجلت بالقضاء على ما هو موجود منه وقطعته تدريجيا من الجذور حينما جففت منابع الدعم المادي أولا، قبل أن تعلن عداءها الصريح ورغبتها الواضحة في طمس معالم الهوية الجزائرية العربية والإسلامية بفرض لغتها ومناهجها.

وقامت بمحاصرة المعلمين والحد من نشاطهم بمضايقتهم وبإصدار القوانين التعسفية، مثل القانون الفرنسي الصادر في 18 أكتوبر 1892م الذي ينص على إمكانية فتح المدارس الحرة بشروط ثلاثة: وجود المحل الصحي، والحصول على رخصة بفتح المدرسة ورخصة خاصة بالمعلم المسلم يوافق عليها والي الولاية التي تفتح فيها المدرسة مع أخذ رأي المراقب الولائي للتعليم ورأي السلطات الفرنسية المعنية[6]. وماذا نتوقع أن يكون الحال بعد مثل هذه المعاملة للتعليم في الجزائر من قبل السلطات الفرنسية المحتلة.

وبعد أن أضعفت الحكومة الفرنسية التعليم في الجزائر وقوضت أركانه شرّعت التعليم الفرنسي الموجه للمستوطنين –فرنسيين وأوروبيين- بالدرجة الأولى ويحضره من الجزائريين من شاء، كما كان هناك حلقات أو كراسي اللغة العربية الموجهة للفرنسيين أيضا[7]، ثم التعليم المزدوج وهو التعليم العربي –الفرنسي الموجه إلى الجزائريين "وهو أنواع منه المدرسة الحضرية- الفرنسية، فالمدرسة العربية- الفرنسية، ثم المدرسة الخاصة بالأهالي، وكلها كانت مدارس في مستوى التعليم الابتدائي"، ثم أسست المدارس الرسمية الثلاث التي انطلقت عربية ثم تحولت إلى مزدوجة خصصت لتخريج القضاة والمترجمين والمدرسين، وكان مستواها هو التعليم المتوسط والثانوي، بالإضافة إلى المدرسة السلطانية وهي "معهد أسس للدراسة المزدوجة والعالية في الجزائر بإدارة فرنسية"[8]

[5] المرجع نفسه، ص 20، 32.

[6] المرجع نفسه، ص 240.

[7] المرجع نفسه، ص 312.

[8] المرجع نفسه، ص 322.

وقد دعاها إلى ذلك حاجتها لمن تثق فيه ويساعدها في التعامل مع الجزائريين الذين كانت تعتبرهم –أهالي- وليس مواطنين خاصة في الشؤون القضائية، والترجمة وغيرها، ولا يعني ذلك البتة أن الحكومة الفرنسية كان يعنيها تعليم الجزائريين وتثقيفهم.

وإن كان العكس صحيحا لماذا لا تقبل الأطفال الجزائريين في المدارس الفرنسية إلا بعد امتحان خاص؟ مع استثناء أبناء العائلات التي خدمت فرنسا من ذلك الامتحان. ولماذا بعدما تسمح لهم بدخول الثانويات تخصهم بأقسام تسمى الأقسام "الأهلية"؟ أم أن هذا من شدة العناية؟[9]

ورغم كثرة المضايقات، وقلة الموارد، وصعوبة الشروط التي وضعتها الحكومة الفرنسية لفتح المدارس وممارسة التعليم استمر التعليم في الزوايا، وأنشئت مؤسسات تعليمية حرة كنوع من المقاومة الثقافية وذلك منذ سنة 1913م، وبدأت تزداد نشاطا منذ حوالي 1920م[10].

ففي جوان من سنة 1915م تأسست المدرسة القرآنية للشيخ أبي اليقظان، وبرنامجها يضم: تحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي، تدريس العقيدة والسيرة والفقه، تدريس القراءة والكتابة والنحو والأدب، إلى جانب التاريخ والجغرافيا والحساب والأناشيد الوطنية، والرياضة البدنية[11]، وهو برنامج يعبر عن التوجه الذي يريده رجال الإصلاح للمدرسة الإسلامية العربية، ترجمة لمشروع النهضة لصد مشروع التغريب الممنهج الذي كانت تقوده فرنسا ضد الجزائريين.

ولعله من بين الأسباب التي مهدت الطريق وساعدت على انطلاق عملية تأسيس المدارس واستعادة نشاطها:

- مطالبة مجموعة من علماء قسنطينة سنة 1891م الحكومة الفرنسية بالنظر في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية للبلاد، ورفع القيود عن التعليم العربي-الإسلامي.

[9] المرجع نفسه، ص 302، 303.

[10] المرجع نفسه، ص 37، 238.

[11] قاسم الشيخ بالحاج، التعليم القرآني في الجزائر ودوره في ترسيخ معالم الهوية العربية الإسلامية في عهد الاستعمار الفرنسي، مج1، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا 2، جامعة إفريقيا العالمية، دب، يناير 2019م، ص 131. و: أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 274.

- السياسة الجديدة التي جاء بها والي ولاية الجزائر "جونار" (1853- 1913م) والتي تهدف إلى جلب المثقفين الجزائريين إلى فرنسا وجعلهم أداة لبث رسالة فرنسا الحضارية وسط الأهالي.

- كما فتح "جونار" المجال أمام مجموعة من الصحف العربية الإسلامية لدخول الأراضي الجزائرية فانتشر منها خلالها الفكر الإسلامي والعلوم النافعة بمختلف أنواعها.

- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي سنة 1931م اهتمت بالتعليم العربي- الإسلامي اهتماما بالغا وركزت جهودها فيه[12].

- إلحاح الأهالي على تعليم أبنائهم مقابل عجز الحكومة الفرنسية عن توفير المدارس لحوالي 620000 طفل جزائري بلغ سن التمدرس (بين 6- 13 سنة).

وأمام هذا الإلحاح قدمت الحكومة الفرنسية بعض التسهيلات فصدر قرار 8 مارس 1938م من الحاكم العام لوبو Le Beau الذي سمح بفتح المدارس الحرة دون طلب رخصة[13].

وإن كان هدف فرنسا من وراء هذا القرار هو تهدئة الأوضاع وكسب الجزائريين لصالحها بسبب تطورات الحرب إلا أن هذا الإجراء ساهم في إنعاش التعليم الحر في الجزائر رغم استمرار العقبات في السنوات اللاحقة، فلم يكن هذا الموقف من فرنسا بالنسبة للتعليم العربي أو الفرنسي في الجزائر نهائيا لأنها ظلت تعتبر الجزائريين أهالي أي أنهم رعايا من الدرجة الثانية.

ومن أمثلة ما يدل على ذلك القرار الصادر في 22 جويلية 1945م الذي يفرض على كل معلمي اللغة العربية معرفة اللغة الفرنسية كشرط أساسي لتوظيفهم في المدارس، والغرض البين هو مسخ الهوية الجزائرية وإحكام السيطرة على الجزائريين كما يدل عليه قول الدوق دومال: "أن فتح مدرسة في وسط الأهالي يعد أفضل من فيلق عسكري لتهدئة البلاد"[14]. أي لضمان استمرارية السيطرة الفرنسية على الجزائريين.

[12] محمد خالد اسطنبولي، مرجع سابق، ص 171، 172، 173، 175.

[13] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 240.

[14] خير الدين بن ترزي، مرجع سابق، ص 109.

ولقد قاطع الجزائريون المدارس الفرنسية ورفضوا التعلم بها فانتشر الجهل بينهم، ولعله يتبادر إلى الذهن أن الجزائريين ربما تقاعسوا عن الالتحاق بالمدارس الفرنسية لطبيعتهم التي لا تحبذ العلم ولا تسعى إليه، إلا أن الواقع الذي سردناه آنفا يبين إقبال الجزائريين على التعليم وقبولهم له، بل تقدموا إلى الحكومة الفرنسية بطلبات رخصة لفتح مدارس للتعليم العربي الإسلامي، ولم يمنعهم في البداية إلا خوفهم على عقيدة أبنائهم، لأن الحكومة الفرنسية أقدمت على هدم المدارس القرآنية وتحويل بعض المساجد إلى كنائس، فهي إذا "لن تتوانى في هدم آثار الدين واللغة في قلوب وألسنة الأطفال"[15]، ففضلوا إرسال أبنائهم إلى المساجد والزوايا غير أن المستعمر قوضها وتسبب في إيقاف أكثرها، ولعل انتشار التعليم العربي الإسلامي في السنوات اللاحقة هو ما شجع المفكرين على الدعوة للتعلم باللغتين العربية والفرنسية، ليس فقط لمعرفة لغة العدو واتقائه، وإنما حماية لأبناء الجزائريين من الجهل والتشرد في الشوارع وفساد أخلاقهم.

فبعد الحرب العالمية الأولى فيما بين 1918 و1923 ارتفع عدد التلاميذ الجزائريين من 39000 تلميذ إلى 59000 تلميذ، أي بزيادة 20000 تلميذ في المدارس الفرنسية، وبلغت نسبة المواظبة في بعض المدارس 90 بالمئة[16]. ولعل أهم سبب لهذا التحول الوعي بأهمية النضال العلمي من أجل نضال وطني شامل للمطالبة بالحقوق والدفاع عن الوطن متأثرين بالهجرة والفكر الإصلاحي للإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، كما أن مدارس التعليم العربي الحر خصصت لهؤلاء التلاميذ برنامجا زمنيا يتلاءم مع أوقات الدراسة في المدرسة الفرنسية لتعليمهم اللغة العربية، وتحفيظهم ما تيسر من القرآن الكريم حفاظا على هويتهم العربية والإسلامية، فقد كانت هذه المدارس تستقبل الأطفال المتفرغين للدراسة بها بالنهار، وتستقبل أيضا التلاميذ الذين يلتحقون بها بعد نهاية يوم دراسي في المدرسة الفرنسية.

ومقابل هذا الحرص من رجال الإصلاح استمرت السلطات الفرنسية في عرقلة نشاطهم التعليمي وصارت تقوم بتمديد "ساعات الدراسة المسائية إلى الساعة الخامسة، خلافا للقانون السائر في جميع المدارس بغية تفويت ميقات المدرسة العربية على التلميذ"[17].

[15] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 323.

[16] المرجع نفسه، ص 360.

[17] أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 230.

ويروي الشيخ الإبراهيمي بهذا الخصوص ما رآه في إحدى المرات وهو يمر بقرية "بريكة"، حيث كُلّف تلامذة المكتب الفرنسي من الجزائريين بجمع الزيتون من بستان تابع للمكتب أو لإدارة المتصرف وكان ذلك في الساعة الخامسة إلا ربعا بالضبط"[18] أي بعد انتهاء الدوام الرسمي للمدرسة الفرنسية وبداية الدوام الرسمي المخصص لهم في المدرسة العربية.

كما استمرت في مضايقة المعلمين واضطهادهم، ومن أمثلة من قامت بمحاكمتهم الشيخ عمرو بوعناتي ومدير مدرسة الإصلاح الهادي الزروقي ببجاية بعشرة أيام حبسا مع غرامة قدرها 200 فرنك لكل واحد منهما مع إغلاق المدرسة[19]، والشيء نفسه لرئيس جمعية مدرسة الغزوات أحمد الصالح الكبير وقدرت غرامته بـ 20000 فرنك[20]، وقامت بمحاكمة وإدانة الشيخ أحمد عيقون إمام مسجد الأصنام بالبويرة، وحكم عليه بغرامة مالية قدرها 10000 فرنك بدعوى أنه يدرس دون رخصة[21].

وفي ظل هذه الظروف الصعبة حملت جمعية العلماء المسلمين لواء التعليم، وسعت لنشره وتنظيمه، حيث جاء في المادة 77 من القانون الداخلي للجمعية: "تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدريج في أهم مراكز القطر..."[22].

وبلغ عدد المؤسسات التربوية التي اجتهدت مختلف شعب الجمعية في تأسيسها منذ سنة 1932م إلى غاية بداية الثورة التحريرية ما يقارب المائة وخمسون مدرسة تضم البنين والبنات[23].

وقد استهدفت هذه المدارس تدريس المبادئ الأساسية للدين الإسلامي من قرآن وحديث وعقيدة وأخلاق إسلامية، وتدريس المواد القاعدية للغة العربية، وهو تدريس يبدأ بالمرحلة الابتدائية ثم يلتحق التلميذ بالتعليم الثانوي[24].

---

[18] المرجع نفسه، ص 230.

[19] البصائر، ع154، 24 فيفري 1939، نقلا عن: أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016، 2017م، ص 186.

[20] البصائر، 31 أكتوبر 1949، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 186.

[21] البصائر، ع314، 15 أفريل 1955، نقلا عن: المرجع نفسه، ص 186.

[22] سليم بعلوج، تأثير التعليم العربي الحر في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1931- 1954 (تجربة جمعية العلماء المسلمين أنموذجا)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج12، ع1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص 201.

[23] الجمعية الخيرية الإسلامية، البصائر، ع 4، 24 جانفي 1936.

[24] سليم بعلوج، مرجع سابق، ص 200، 201.

ومنه التعليم المسجدي الذي يعتمد على الوعظ والإرشاد في تعليم القرآن وتفسيره وشرح السنة النبوية وسيرة النبي محمد (ﷺ) والصحابة رضي الله عنهم، مع تقديم الصورة العملية والتطبيقية[25].

وإجمالا هو تعليم يقوم على مرتكزات ثلاث لخصها الشيخ البشير الإبراهيمي في: "مبادئ الدين الصحيح عقيدة وأعمالا، ومبادئ العربية الفصيحة نطقا وكتابة وإنشاء، ويتربون على الوطنية الحقيقية"[26]

أما بالنسبة للتعليم الجامعي فكان عن طريق إرسال البعثات الطلابية العلمية نحو جامع الزيتونة بتونس وغيرها من الدول العربية، وقد سافرت أول بعثة ميزابية إلى تونس في ماي 1914م، تضم حوالي عشرة تلاميذ، برئاسة أبو اليقظان وعمر العنق، وقد تواصلت البعثات الميزابية إلى تونس بين الحربين، وشمل ذلك مختلف مناطق الوطن، وأرسلت جمعية العلماء المسلمين بعثات علمية لمصر، وكانت لها محاولات لاحقة في الخمسينات مع خريجي معهد ابن باديس[27].

هذه بعض ملامح التعليم الإسلامي في الجزائر في فترة 1920 – 1945م تأرجحت بين قوانين الإدارة الفرنسية التعسفية المضيّقة لنشاطه وبين محاولات متكررة غير يائسة من طرف رجال الإصلاح لاستمرار هذا النشاط الذي يتوقف عليه مستقبل الجزائر ومستقبل أبنائها.

[25] حنان قدودة، وسيلة قدة، التعليم العربي الحر بالجزائر وعلاقته بقانون 8 مارس 1938م، رسالة ماستر، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016، 2017م، ص 20، 21.

[26] الإبراهيمي، جناية الحزبية على التعليم والعلم، البصائر، ع46، 23 أوت 1948، نقلا عن: سليم بعلوج، مرجع سابق، ص 200.

[27] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 273، 274، 258.

المبحث الثاني: جهود رجال الفكر والإصلاح في مواجهة تحديات تدريس العلوم الإسلامية 1920 – 1945:

لقد تبين من الحديث عن واقع التعليم في الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي 1920-1945م أن التعليم العربي الإسلامي الحر واجه العديد من التحديات والعراقيل التي اختلفت باختلاف الولاة الذين تداولوا على الحكومة الفرنسية في الجزائر واختلاف سياسة كل واحد منهم عن الآخر، وإن كانوا مع تلك الاختلافات قد اتفقوا في شيئين هما دعم الوجود الفرنسي في الجزائر، وإبقاء الجزائريين رعايا أهليين، ومن أهم التحديات المستخلصة:

- اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية.
- التنصير.
- اشتراط الرخصة لفتح المدارس الحرة.
- إغلاق المساجد في وجه العلماء إلا من ترضى عنه الإدارة الفرنسية.
- التعطيل المستمر لكثير من المدارس وإغلاقها وما ينجر عنه من بقاء التلاميذ دون تعليم.

تغريم المعلمين وسجنهم.

كما أن التعليم العربي الإسلامي استند إلى تدريس مواد تعبر عن هوية الجزائريين وانتمائهم الحضاري تركزت أساسا في المواد الإسلامية من قرآن وتفسيره، وحديث وشرحه، وعقيدة وفقه وأصوله، وأخلاق وآداب إسلامية، وأردفت بمواد للغة العربية من نحو وكتابة وإنشاء إذا لا يستقيم تدريس المواد السابقة دونها، ولم تغفل مادة التاريخ والجغرافيا التي تكمل ما سبق وتعرف التلاميذ بالدور الحضاري للأمة الإسلامية والجزائر جزء لا يتجزأ منها، وعززت ذلك كله بالمحفوظات والأناشيد التي تعزز الروح الوطنية، والرياضة البدنية إلى جانب الحساب وبعض المواد العملية ليكون التعليم شاملا شمول الإسلام الذي لا تنفك فيه سلامة الروح عن سلامة العقل والجسد.

وحيث أن رجال الإصلاح آمنوا بأن تعليم الجزائريين هو مفتاح نهضتهم، إذ يخالط فكرهم ووجدانهم ويؤثر في سلوكهم، فيوسع إدراكهم وينضج تفكيرهم، ويصحح عقيدتهم ويهذب أخلاقهم لم تقعدهم التحديات التي واجهتهم عن الاستمرار في تنفيذ مشروعهم الإصلاحي والتأسيس للتعليم الديني ونشره وتعليم اللغة العربية، فبذلوا العديد من الجهود التي يعجز أي باحث عن حصرها في مكان واحد لكثرتها وتعدد روادها، ونكتفي في هذا المقام بالتعريج على نزر يسير جدا منها.

- **تأسيس الجمعيات تيسيرا لتأسيس المدارس:**

دعا العديد من مفكري الجزائر إلى تأسيس الجمعيات للنهوض بالتعليم الحر للأطفال الجزائريين مثل الأمير خالد وعمر بن قدور، وقد تأسست جمعية الشبيبة الإسلامية في ديسمبر 1921م وكان بن قدور أحد أعضائها، وفي شهر أكتوبر 1923م حصلت الجمعية على رخصة قانونية لتأسيس مدرستها الابتدائية بمدينة الجزائر، وافتتحت رسميا في 11 ديسمبر 1923م، وعيّن عمر بن قدور مديرا لها، وكان أستاذها وواضع برامجها التعليمية[28].

تميزت المدرسة رغم ظروف عصرها بتنوع موادها الدراسية فشمل برنامجها التعليمي: مبادئ اللغة العربية وكتابتها، حفظ أجزاء أو ما تيسر من القرآن الكريم، تلقين التجويد ومبادئ التلاوة، تدريس مبادئ النحو، دروس في التربية الدينية في سياق الشعائر والأخلاق الإسلامية، وبعد ستة أشهر من افتتاح هذه المدرسة كان هناك أربعون صبيا وصبية قد التحقوا بها وأصبحوا يقرؤون العربية ويكتبونها ذكورا وبنات[29].

كما أسس لاحقا سنة 1928م مدرسة السلام القرآنية وزاول بها التعليم إلى وفاته[30]، وأما مدرسة جمعية التربية والتعليم الإسلامية 1930م ذكر ابن باديس أنها كانت تدرس كتبا ومواد منها: التفسير والتجويد والحديث والفقه والعقائد الدينية والأخلاق والآداب الإسلامية وهي تمثل مواد إسلامية إلى جانب اللغة العربية والفنون العقلية[31].

وتحت لواء جمعية العلماء المسلمين أسس البشير الإبراهيمي مدرسة دار الحديث في تلمسان سنة 1936م على الطراز الأندلسي وتحتوي على مسجد وقاعة محاضرات وأقسام لطلبة العلم، كبارا وصغار وتولى الإبراهيمي بنفسه تدريس الطلبة الكبار ومن بين ما درّس فيها الحديث والتفسير[32].

أما عن المعهد الباديسي: فقد فتح أبوابه في شهر نوفمبر من سنة 1948م، وفي سنته الثانية بلغ عدد تلاميذه ستمائة تلميذ وهو ضعف ما سجل في السنة الأولى[33].

---

[28] ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، الجزائر، 2014م، ص 135- 137.

[29] المرجع نفسه، ص 139.

[30] المرجع نفسه، ص 140.

[31] عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج1، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م، ص 114، 116.

[32] محمد البشير الإبراهيمي، من أنا؟، تحق: رابح بن خويا، دط، الوطن اليوم، الجزائر، 2018م، ص 47.

[33] أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 213، 214.

- **عقد المؤتمرات والاجتماعات:**

ومن غاياتها التعرف على مشكلات التعليم في مختلف أنحاء الجزائر، من خلال إعداد تقارير من طرف أعضاء من جمعية العلماء المسلمين كلفهم الشيخ ابن باديس بذلك، وكان ذلك سنة 1935م وفيه عرض الشيخ نفسه تقريرا عن التعليم المسجدي دعا فيه إلى تأسيس كلية إسلامية[34].

إلى جانب مختلف التقارير السنوية لجمعية العلماء المسلمين عن مختلف أنشطتها.

ومن خلال الاجتماعات العامة يتم توعية الناس بأهمية التعليم ونتائجه التي تعود بالنفع على المجتمع، وتتم دعوتهم لتمويل المدارس والمشاركة بتبرعاتهم واشتراكاتهم لتغطية مصاريفها والمساهمة في تهيئة وتجهيز الهياكل والأقسام، وفي أحد اجتماعات الشيخ إبراهيم بيوض في غرداية في سنة 1944م قال مخاطبا الحضور ومشجعا إياهم على دعم التعليم: "إخواني الأعزاء لقد رأيتم نتائج العلم الحميدة، فهل أنتم مستعدون لخدمته بصدق وإخلاص، هل أنتم مؤيدون مشاريعه بالإنفاق في سبيلها؟ ما للبعض يبخلون وتنقبض أيديهم عن الإنفاق؟ لو أنفقنا عشر ما ننفقه على الشاي والقهوة...لوفرنا للعلم ومشاريعه ملايين كل سنة، ولبلغنا غايتنا منذ زمن بعيد...لم تقم هذه المدارس وأبنيتها الشامخة بلا شيء، ولا أدواتها اللازمة لها، وجهازها الضروري الغالي، أنفقوا على هذه المدارس والمعاهد قبل أن تنفقوا على ضروريات المعاش، اهتموا بأرواح أبنائكم قبل أن تهتموا بأجسامهم...إن الإنفاق في التعليم رأس الصدقة، وعبادة كبرى، وهو سبب الزيادة والبركة في المال وفي كل نعم الله للمنفق"[35].

- **الاستعانة بالصحافة:**

إضافة إلى الدور الذي لا ينكره أحد للصحافة الإصلاحية في تنوير الرأي العام بالجزائر إبان فترة الاحتلال فقد كانت من أهم وسائل المشروع الإصلاحي الجزائري في مجال التعليم الإسلامي وتعليم اللغة العربية، وكانت بمثابة المدرسة المفتوحة لكل من أراد أن يتعلم، فقد عمرت صفحات "الشهاب" بمجالس التذكير في تفسير آيات القرآن الكريم وشرح الأحاديث النبوية التي كان يعنى بها الشيخ ابن باديس وشكلت مصدرا مهما للغاية في

[34] عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 213.

[35] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، ج4، ص 106، 107 نقلا عن: قاسم الشيخ بالحاج، مرجع سابق، ص 126.

نشر الوعي الديني وتصحيح العقيدة وربط الناس بالمصدر الأول وهو القرآن الكريم الذي صار والسنة النبوية جزءا من واقعهم وحياتهم اليومية.

ومن جانب آخر شكلت الصحافة الإصلاحية حلقة وصل بين رجال الإصلاح والشعب الجزائري تم من خلالها توعيتهم بأهمية العلم في حياتهم، ودعوا الآباء لإرسال أبنائهم إلى المدارس للتعلم واكتساب المعرفة الدينية والأدبية والعلوم الحديثة، فذلك سبيل نهضتهم وخلاصهم، ولم يفرقوا في دعوتهم بين التعلم في المدارس العربية أو المدارس الفرنسية فهم يريدون أن يخرجوا الشعب الجزائري من العزلة التي فرضت عليه بأية وسيلة ممكنة.

ولقد دعا عمر بن قدور في وقت مبكر إلى فرض إجبارية التعليم باللغتين العربية والفرنسية، فكتب في افتتاحية العدد الأول من جريدة الصديق "إنهاض الشعب إلى العمل والاجتهاد والكدّ لاسيما في سبيل بث المعارف بين كافة الطبقات خصوصا طبقة الشبيبة الصغيرة النابتة وأن يكون التعليم إجباريا محرزا على الحظ الوافر من اللغتين لغة الدين وهي العربية العزيزة ولغة الجنس الحاكم أي الفرنسوية التي تجعل المصالح المشتركة سهلة المآخذ"[36].

ويوافقه البشير الإبراهيمي الرأي ويؤكد أن تعليم أبناء الجزائر الدين واللغة العربية إنما هو واجب عليهم وحق للأبناء لأنه أصلهم وهويتهم التي لا تنفك عنهم، وتعلم اللغة الفرنسية وثقافتها إنما هو سلاح من أسلحة الحياة، ولابد من سد الفراغ وحسن تدبير أمور التعليم لئلا تحرم فئة منه، ويقول: "وما كنا في يوم من الأيام حربا للتعليم الفرنسي على تفاهته، بل نحض عليه ونعدّه بابا من أبواب الثقافة، وسلاحا من أسلحة الحياة، وإنما نريد أن نجمع لأبنائنا بين التعليمين جمعا للمصلحتين"[37]

ويخاطب الحكومة الفرنسية التي تمنع الجزائريين من التعليم بعرقلة الأنشطة التعليمية لجمعية العلماء قائلا: "ومادامو محرومين من التعليم الفرنسي فمن حقنا ومن واجبنا ومن الإحسان إلى أبنائنا أن نشغلهم النهار كله بتعلم دينهم ولغتهم، بدليل أننا لا نقبل في مدارسنا تلامذة الفرنسية إلا بعد الرابعة والنصف مساء، لئلا يحرموا من أحد التعليمين، على ما في هذه الساعات الزائدة من إرهاق للمعلمين والتلامذة عندنا"[38]

[36] جريدة الصديق: 12 أوت 1920م.

[37] أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 229.

[38] المرجع نفسه، ص 229.

وقد كان للصحافة الإصلاحية دور في التنبيه لما يعرقل نجاح مشروع التعليم من داخل المجتمع الجزائري، كعزوف الأغنياء منهم عن التبرع بالأموال لصالح المدارس الحرة، وقد كتب الإبراهيمي إلى هؤلاء المتقاعسين عن البذل يذكرهم بمسؤوليتهم أمام الله وأمام المجتمع، فقال: "وإلى هؤلاء المتقاعسين عن البذل، المتصامين عن العذل، نرسلها صيحة إنذار، ليس معها إعذار، ونقول لهم: إن كل ما يصيب هذه الحركة المباركة من شلل، أو يعتريها من خلل، فأنتم المسؤولون عنه عند الله وعند الناس، فلتنفقوا مما جعلكم الله مستخلفين فيه.."[39]

وكشف عمر بن قدور على صفحات الجرائد الإصلاحية عن بعض مواطن التعطيل الخفية التي تقوض مشروع التعليم وتعرقل توسّعه وتقدمه، وتمنع الرجال من الإنفاق على المرافق الحيوية والاجتماعية التي ينبغي إنشاؤها لمصلحة التعليم ولتنظيم التعاون والتكافل، ونبّه إلى النسوة اللواتي يجردن الجيوب لينفقن الأموال على الدجالين وأضرحة الصالحين وغيرها من البدع الفاسدة التي تمسكت بها النساء الجزائريات لتمكّن الجهل منهنّ[40]. ولتلافي هذه المضرة العقدية والمادية دعا المصلحون إلى ضرورة تعليم المرأة لأن جهلها ينشئ جيلا جاهلا واتباعها البدع والخزعبلات ينشئ جيلا فاسد العقيدة.

- **إلقاء الدروس في المساجد:**

وكانت غاية رجال الإصلاح من وراء ذلك الحفاظ على الدور التربوي والتعليمي للمسجد كما كان على عهد رسول الله (ﷺ) وتعليم مختلف فئات المجتمع على اختلاف أعمارهم الدين الصحيح، بتصحيح عقائدهم وتعليمهم العبادات وإرشادهم في أمور دنياهم، مثلما فعل الشيخ ابن باديس في الجامع الكبير الذي درّس فيه كتاب الشفاء للقاضي عياض. كما درّس في الجامع الأخضر كتاب: الموطأ، وأقرب المسالك، والرسالة، ابن عاشر، المفتاح، الزنديوي، التنقيح، السلم، المكدوي، القطر والآجرومية والزنجاني، واللامية، والسعد والجوهر المكنون ومن ديوان الحماسة ومن ديوان المتنبي والأمالي ومن مقدمة ابن خلدون، وكلها في علوم الدين واللغة[41].

[39] المرجع نفسه، ص 215.

[40] ساحل عبد الحميد، مرجع سابق، ص 355، 356.

[41] عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 15، 117.

وفي مسجد سيدي منصور وجامع بركات ومسجد بكار في بسكرة ألقى الشيخ الطيب العقبي دروسا في العقيدة وفي تفسير القرآن الكريم، وفن التجويد برواية ورش، وكذا اهتم كغيره من المصلحين بتدريس لغة القرآن وهي اللغة العربية، وأقرأ كتاب الجوهر المكنون للعلامة عبد الرحمان محمد الصغير الأخضري ، وكتاب شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام[42].

- **نقد مناهج التعليم التربوية:**

إنه لا يخفى على كل مطلع على تاريخ الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي الصلة التي كانت بينها وبين تونس والمغرب خاصة في مجال العلم حيث شكل جامع الزيتونة والقرويين قبلة الكثير من طلبة العلم المحرومين من التعليم العالي خاصة طلاب العلوم الإسلامية والأدب العربي.

لذلك ليس من الغريب أن نجد ابن باديس قد انتقد طرق التدريس في جامع الزيتونة، وفي المغرب الإسلامي لاعتماد الأخيرة على دراسة الفروع الفقهية دون الرجوع إلى الأصول، وانشغال الأولى بتتبع الخصومات اللفظية، وغاية التفسير إنما هي فهم الشرائع والأحكام، والتفقه إنما يكون في السنة والقرآن، دون إغفال معرفة علم النفس وفن التعليم للحاجة إليهما في ميدان التدريس[43]، فهل نفهم من هذا أن هدف ابن باديس من التعليم هو تكوين وتخريج معلمين في الدين واللغة العربية؟ أم أنه كان هدفا أوليا مرحليا؟

يقول ابن باديس: "إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا، وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر" من تفسيره الآية 84، 85 من سورة الإسراء.

ويعرب ابن باديس بمقولته هذه عن اهتمامه بالفرد كعنصر أولي وأساسي للإصلاح وللنهضة، ثم يبين أن أهم ما في الفرد هو عقيدة صحيحة وخلق قويم والطريق السالك

---

[42] حنان عدوان، الشيخ الطيب العقبي ودوره الإصلاحي، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012، 2013م، ص 38، 39. و: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م، ص 109، 110 نقلا عن: فاتح مزردي وجهينة بوخليفي قويدر، المنهج الإصلاحي والمواقف السياسية للشيخ الطيب العقبي، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج10، ع2، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، جوان 2019م، ص 223.

[43] ج12، م10، ص 518- 521، نوفمبر 1934م، و: ج10، م7، ص 601، أكتوبر 1931م. نقلا عن: عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 107، 108، 110.

لذلك هو العلم والعلماء فلن "يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماؤهم، لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم"[44].

وبناء على النقد السابق بعث باقتراح إلى لجنة وضع مناهج الإصلاح التي شكلها الباي لسنة 1931م، ضمنه خلاصة آرائه في التربية والتعليم، واقترح قسمين أساسيين هما: قسم المشاركة مدته 8 سنوات، وقسم التخصص ومدته سنتان، ويشمل كلا من: فرع القضاء والفتوى، وفرع الخطابة والوعظ والإرشاد، وفرع تخريج الأساتذة ومدته سنتان. وفصل الحديث في المنهاج وطريقة تدريسه[45].

وأما عن المواد الإسلامية التي تدرس فهي: العقائد والفقه وأصوله، التفسير والحديث، والتربية الأخلاقية التي تستند إلى الآيات والأحاديث، وتتدرج هذه المواد ليتوسع فيها الطالب حسب التخصص الذي التحق به، مع مواد أخرى كعلم الفرائض لتخصص القضاء والفتوى، وتاريخ نشر الدعوة الإسلامية مع التمرين على إلقاء الخطب الارتجالية بالنسبة لتخصص الخطابة والوعظ وغيرها من المواد، بالإضافة إلى ما يتعلق باللغة العربية وآدابها[46].

وإن كان هذا الإصلاح موجها خارج الوطن إلا أنه يصب في صميم خدمة الوطن بحكم هجرة الكثير من الجزائريين نحو تونس لاستكمال الدراسة العليا وكذا البعثات العلمية للجمعية إلى جانب اهتمام ابن باديس ورجال الإصلاح بقضايا العالم العربي والإسلامي عامة.

- **إرشاد المتعلمين إلى سبل تحصيل العلم النافع:**

وخاصة منهم الطلبة المهاجرين إلى المشرق أو المغرب في سبيل تحصيل العلم (الدراسات العليا)، ومن تلك النصائح:

- الاستزادة من العلم بقراءة الكتب وعدم الاكتفاء بحلق الدرس وحدها.
- مع الاعتماد على المذاكرة فهي لقاح العلم، وبهما تستحكم الملكة ويتسع الإدراك.
- القوة في العمل لا تكون إلا بالقوة في العلم، والقوة في العلم لا تأتي إلا بالانقطاع إليه.
- تذكير الطلبة المهاجرين بأن الوطن يفتقر إلى علمهم، فليتحلوا بقوة البدن وقوة الروح[47].

---

[44] المرجع نفسه، ص 101.

[45] المرجع نفسه، ص 111.

[46] المرجع نفسه، ص 111- 113.

[47] أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 203، 204.

- تمكين الأطفال الجزائريين الذين يزاولون دراستهم في المدرسة الفرنسية من التعليم العربي الحر:

بتخصيص وقت لهم لا يتعارض مع توقيتهم في المدرسة الفرنسية، وهذا للمحافظة على هويتهم الجزائرية وانتمائهم الإسلامي وحماية فكرهم من التشويه التاريخي الذي تبثه المناهج الدراسية الفرنسية في أذهانهم فيتعلمون قسطا من اللغة العربية تستقيم به ألسنتهم، ويحفظون ما تيسر من القرآن الكريم، والحديث النبوي، ويدرسون بعض الآداب الإسلامية إلى جانب أنشطة ومواد أخرى.

ومنهم من قام بتوفير هذا التعليم لأبنائه بنفسه، وتعهد أبناءه بالتعليم الإسلامي العربي بجهد فردي، فالحاجة حورية شليغم تذكر أنها كانت وأخواتها البنات يدرسن في المدارس الفرنسية من الثامنة إلى غاية الحادية عشر صباحا ومن الواحدة زوالا إلى الرابعة مساء برنامجا يشمل النحو والإملاء والإنشاء والحساب والتربية الخلقية والمدنية والتاريخ (الفرنسي) والجغرافيا إلى جانب المحفوظات والرسم والأشغال اليدوية، بينما يجلسن إلى أبيهن ساعة الفجر ليعلمهن مبادئ اللغة العربية وقواعدها التي وعاها من الآجرومية، ويروي لهن من قصص وبطولات التاريخ الإسلامي فيتعرفن على الرسل والأنبياء والصحابة، كما يقمن رفقته بترجمة المسائل الحسابية بعد أن يشرحنها له باللهجة العامية ويعدن حلها، وفي أوقات أخرى كن يجلسن إلى أخيهن محمد ليلقنهن بعض سور القرآن الكريم كل ذلك خفية تحت سقف بيتهم لا يعلم بذلك أحد غيرهم إلا بنتين من بنات جيرانهم كانتا تشاركنهن الدراسة عند أبيهن الإمام. واستمر الحال كذلك إلى أن اقترح أحدهم على لجنة المسجد الموجود بمنطقة سيدي مزغيش -سكيكدة أن يحضر معلما دون علم السلطات الفرنسية. وتذكر الحاجة حورية شليغم أنهن كن يذهبن ليتعلمن في المسجد خفية بين العصر والمغرب ويغادر التلاميذ المسجد رفقة المصلين لتظن فرنسا أنهم كانوا في المسجد للصلاة فقط أو لقراءة القرآن على عادة الجزائريين. ومن أسماء المعلمين الذين علقوا في ذاكرتها تذكر المعلم بوغلول وبوحجلة ولخضر علواني[48].

[48] مكالمة هاتفية معها أجريت يوم 16 ماي 2019 على الساعة: 17:41 من طرف نوال موساوي.

ويذكر ذلك أيضا مالك بن نبي عن نفسه ويقول: "لقد أرسلوني إلى المدرسة الفرنسية إلا أنني في نفس الوقت ثابرت التردد على مدرستي القديمة لتعلم القرآن فكنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية"[49]

- المفاوضات مع الحكومة الفرنسية حول القوانين التي تصدرها بخصوص التعليم الديني والتعليم العربي:

التعليم الديني والتعليم العربي من المسائل التي شددت الإدارة الفرنسية الخناق حولها بإصدار قوانين تحد من نشاط المدارس والمعلمين والمساجد، ومما زاد الطين بلة عدم وضوح هذه القوانين وعدم دقة ألفاظها، وعدم الاتفاق على كيفية تنفيذها، وتسبب كل ذلك في عرقلة النشاط التعليمي لأبناء الجزائريين، وفي هذا الصدد يقول الإبراهيمي: "إن البلاء المنصب على تعليمنا آت أقله من القوانين وأكثره من كيفية تنفيذها ومن القائمين على تنفيذها، وما القائمون على تنفيذها إلا صغار الشرط ومن فوقهم من حكام الأحواز المدنية والمناطق العسكرية" ولعل ما يزيد من وطأة هذا البلاء شعور الاحتقار الذي يصحب تنفيذ تلك القوانين، يقول الإبراهيمي: "وإنما يباشرون ذلك على أنه انتقام من العربي المسلم (الأنديجان)، وبروح التشفي والمكر وإطفاء الحقد الكامن، فالتنفيذ عندهم في هذا الباب تنفيذ عقوبة لا تنفيذ قانون"[50] .

وتدلنا بعض العناوين التي تصدرت المقالات الصحفية حول موضوع التعليم في الجزائر على حجم المعاناة ومن أمثلتها: "بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة"[51]، "يا لله للإسلام والعربية في الجزائر كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ثم يسجن"[52]، وبعد الحديث عن مختلف العراقيل التي تواجه طالب الرخصة، ختم الإبراهيمي مقاله بقوله: "أهي رخصة تعليم أم غصّة وعذاب أليم؟"[53] ونقل مفاوضاته التي أجراها مع مسؤولي الحكومة الفرنسية ومطالبه التي قدمها إليها والردود التي تلقاها لكن أغلبها كان دون جدوى تذكر.

---

[49] مذكرات شاهد للقرن، مالك بن نبي، ط2، دار الفكر، بيروت، 1984، ص 24.

[50] أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 241، 242.

[51] الصراط السوي، ع7، 1933م

[52] عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 119.

[53] أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 223.

هذا غيض من فيض لا يمكن حصره فجهود رجال الإصلاح في ميدان التعليم كثيرة متشعبة بتشعب أماكن نشاطهم، فقد اهتموا بالتعليم الإسلامي المسجدي وكذا التعليم الإسلامي في الزوايا والتعليم العربي الإسلامي الحر في المدارس الحرة، ولم يتركوا سبيلا يحقق مرادهم إلا سلكوه مؤمنين بواجبهم اتجاه الإسلام والوطن، تحرك مواجيدهم أهداف سعوا جاهدين لتحقيقها منها:

- تعليم أطفال الفقراء وتربيتهم.
- استيعاب أبناء الشعب الجزائري والتكفل بهم سدا لعجز نظام التعليم الفرنسي.
- حماية اللغة العربية من الانحسار والاندثار في المجتمع الجزائري وهي أحد مقوماته وأساس من أسس هويته.
- حماية الإسلام من التحريف والتشويه، ومحاربة العقائد الفاسدة والبدع.
- ربط نفوس الجزائريين وحياتهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية تحقيقا لروح الإسلام وصدا لمخططات التنصير.
- تكوين الفرد الجزائري المسلم المحب لدينه ووطنه والمدافع عنه وعن حريته بالنفس والنفيس.

المبحث الثالث: دور التعليم العربي الإسلامي في المقاومة الثقافية للاستعمار 1920- 1945:

بعد إطلاق سراح الشيخ الإبراهيمي من منفاه بآفلو سنة 1943م عاد إلى تلمسان، واستعادت بذلك مدرسة دار الحديث التي كان قد أنشأها هناك تحت لواء جمعية العلماء المسلمين سنة 1937م نشاطها، وقام بفتح ثلاثة أقسام أخرى ليصبح المجموع ستة أقسام تستقبل طلاب العلم في اليوم بالتناوب، وما بين سنة 1943 و1946م فتح قسم خاص ذو مستوى عال أشرف على تدريسه بنفسه من بعد صلاة المغرب، أما مواده فتشمل: تفسير القرآن الكريم، الحديث النبوي، اللغة العربية، التاريخ والجغرافية، الفقه، الشعر، البيان والعروض[54]، ويصف الإبراهيمي يومه في هذا القسم بمدرسة دار الحديث ويقول: "وتوليت بنفسي تعليم الطلبة الكبار من الوافدين وأهل البلد، فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم، أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة الصبح، وأختمها بدرس في التفسير بين المغرب والعشاء، وبعد صلاة العتمة أنصرف إلى إحدى النوادي فألقي محاضرة في التاريخ الإسلامي، فألقيت

[54] طويلب عبد الله، مدرسة دار الحديث بتلمسان ودورها في مقاومة السياسة الاستعمارية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مرجع سابق، ص 177.

في الحقبة الموالية لظهور الإسلام من العصر الجاهلي إلى مبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات"[55].

ليس ما قام به البشير الإبراهيمي إلا نسخة مكررة لما قام به الكثير من رجال الإصلاح الذين نذروا أنفسهم وعلمهم ووقتهم لتعليم الجزائريين والخروج بهم من ظلمات الأمية إلى نور القراءة والكتابة وشعاع الفكر والمعرفة العربية والإسلامية، فقد شابه في ذلك رفيق النضال الشيخ ابن باديس، والشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان وغيره كثر لا يتسع المقام لذكرهم، وقد تركوا بأعمالهم التي تميزت قبل كل شيء بالتنظيم والجدية والجودة والعمق بصمة أتت أكلها وغيرت حال الجزائريين كبارا وصغارا.

واهتمامهم بتدريس المواد الإسلامية ومواد اللغة العربية لم يكن اختيارا عشوائيا بل هو مقاومة علمية وثقافية مدروسة ضد المشروع الفرنسي الذي استهدف هاذين المقومين اللذين يميزان الفرد الجزائري عن الفرد الأوروبي الذي اعتبر الأول وفي عقر داره أهلي وهو عند الله مكرّم.

هذه الحركة العلمية المنظمة رغم ما تعرضت له من محاولات الوأد المتكررة خلفت آثارا لا يمكن تجاهلها شهد بها شهود عيان ثقات من بينهم البشير الإبراهيمي الذي وقف على آثار جهاد الشيخ ابن باديس في ميدان التعليم على صعوبة المسلك، وقال:

"ولمست بيدي آثار الإخلاص في أعمال الرجال وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربي حر ومعان بليغة وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة وأوصاف رائعة في المجتمع الجزائري وتشريح لأدوائه ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة وقد أصبحوا يحبرون المقالات البديعة في الصحف فلا يقصرون عن أمثالهم من إخوانهم في الشرق العربي وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية فيرتجلون القول المؤثر والوصف الجامع ويصفون الدواء الشافي بالقول البليغ"[56]

[55] خالد مرزوق والمختار بن عامر، ص 243، الشيخ البشير الإبراهيمي بتلمسان 1932- 1946، مركز التصوير، تلمسان، دت، نقلا عن: طويلب عبد الله، المرجع نفسه، 177، 178.

[56] محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 39، 40.

وفي الاحتفالات السنوية بمناسبة المولد النبوي الشريف، كان يقوم تلاميذ مدرسة السلام التي أسسها عمر بن قدور سنة 1928م بنين وبنات بترتيل القرآن وإلقاء القصائد والأناشيد ذات المعاني الأخلاقية والاجتماعية بأسلوب تمثيلي (مسرحي) تجاوب معه الحاضرون من الأعضاء والضيوف[57].

هكذا تغير حال أبناء الجزائر الذين وصفهم عمر بن قدور قبل أن تبدأ مثل هذه المدارس نشاطها بقوة بأن عقولهم سخيفة وأخلاقهم فاسدة، لا شغل يشغلهم ولا صنعة يحسنونها فيقتاتون منها[58] وصاروا على ما وصفهم به الإبراهيمي آنفا، جيل يعوّل عليه في نهضة الجزائر.

ومن هذه المدارس تخرّجت عناصر تميزت بالنشاط والعمل الكشفي (الكشافة الإسلامية) من بينهم: خالد مرزوق الذي انخرط في هذه الحركة وعمره لا يتجاوز 14 سنة، بومدين أبو بكر، عبد العزيز بابا أحمد وآخرون، ومنهم من التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، خاصة بعدما حوّلت الإدارة الفرنسية مدرسة دار الحديث يوم 25 ماي 1956م إلى ثكنة عسكرية ومقر[59].

وقد أشرفت جمعية العلماء المسلمين على تأسيس الكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1935م، لتربية الشباب على المبادئ الإسلامية والوطنية، وإضافة إلى الأسماء السابقة هناك أسماء أخرى برزت خلال الثورة التحريرية منها: ديدوش مراد، محمد العربي بن مهيدي، وبوجمعة سويداني زيغود يوسف وغيرهم[60]

ومن المدرسة اليوسفية التي كان يشرف عليها الشيخ بلعاليا دومة محمد، ومدرسة ابن الوليد انضم اثني عشر طالبا إلى الثورة في كل واحدة منهما، وثمانية طلبة من زاوية الشيخ البوعليلي بن عبد الله، والتحق عشرة آخرون من مدرسة الشيخ الزروقي[61] والأمثلة كثيرة من العسير حصرها.

---

[57] ساحل عبد الحميد، مرجع سابق، ص 138، 139

[58] الأخبار "أبناء الشعب أمام المستقبل" 21 ديسمبر 1913م، نقلا عن: ساحل عبد الحميد، مرجع سابق، ص 133

[59] khaled Merzouk , Abdel Wahab Baghli ,op cit, p 229 , 238 نقلا عن: طويلب عبد الله، مرجع سابق، ص 181، 182.

[60] الكشافة الإسلامية، المركز الوطني للدراسات التاريخية للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، مطبعة هومز، دت، ص 45. نقلا عن: فركوس صالح، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954- 1962، مجلة العلوم الإنسانية، مج أ، ع28، جامعة منتوري –قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2007م، ص 259.

[61] مخلوفي جمال، التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930- 1956، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، وهران-الجزائر، 2008، 2009م، ص 109

كما كان من خريجي مدارس التعليم الإسلامي فقهاء أمثال عبد الرحمان شيبان، والشيخ عمر دردور[62]، والاطلاع على سيرهم تنبؤك بنشاطهم وكفاحهم العلمي والثوري.

وكان من خريجي مدارس جمعية العلماء المسلمين أساتذة وإطارات ومفتشين تربويين وحتى وزراء للتربية والتعليم في المدرسة الجزائرية المستقلة، وشاركوا في إعداد برامج المنظومة التربوية والتعليمية.

استطاع التعليم العربي الإسلامي الحفاظ على مقوم أساسي من مقومات الشعب الجزائري ألا وهو اللغة العربية مفتاح فهم القرآن الكريم والحديث النبوي، وبتعلمها وإتقان قواعدها وضوابطها صار للجزائر خطباء من أبنائها يرتجلون الخطب وكتابا يدبجون المقالات التي يساهمون من خلالها في توعية الناس وتوجيههم واستكمال مسيرة الإصلاح والنضال التحرري.

"ولعل تلك المقالات التي حملتها صفحات البصائر والمنار والتي كتبها أبناء الشلف آنذاك الذين تخرجوا من تلك المدارس ودرسوا بها أمثال الشيخ الجيلالي الفارسي لدليل واضح على ذلك الدور الذي لعبه التعليم العربي الحر في إحياء وبعث اللغة العربية في المنطقة" والتي لا تستقيم دراسة العلوم الإسلامية دونها[63].

[62] فركوس صالح، مرجع سابق، ص 263.

[63] المرجع نفسه، ص 98.

خاتمة:

إن تدريس العلوم الإسلامية أو ما عرف إبان فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بالتعليم العربي الإسلامي الحر موضوع تترامى أطرافه وتتداخل حيثياته لتشغل حيزا لا يستهان بتفاصيله في تاريخ الجزائر، وإن دراسة وجيزة كهذه وإطلالة سريعة على بعض تفاصيله لا يمكن بأي حال أن تقدّم ذلك التصور الشمولي للموضوع الذي يوصلنا إلى نتائج حاسمة، وإنما نكتفي لضرورة المقام بتسجيل النتائج التالية:

– سبب دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر العديد من التغييرات التي أثرت سلبا على ميدان التعليم في الجزائر، وبمرور السنين أفرز ذلك العديد من المشكلات الاجتماعية، كانتشار الجهل والأمية، وانتشار البطالة، وظهور الآفات الاجتماعية.

– لم تكن سياسة الإدارة الفرنسية معلنا عنها منذ البداية، فقد اتبعت سياسة تجفيف المنابع بالاستيلاء على الأوقاف مصدر تموين مختلف المؤسسات التعليمية والقائمين عليها، وقامت بسحب العديد من تلك المؤسسات من أيدي القائمين عليها فحوّلت الكثير من المساجد إلى كنائس، وأغلقت الكثير من المدارس أو حوّلتها إلى مرافق أخرى.

– في مراحل لاحقة انتهجت الإدارة الفرنسية سياسة إصدار القوانين الإدارية التي عمدت من خلالها إلى تضييق الخناق على مشروع التربية والتعليم العربي الإسلامي الحر بفرض الحصول على الرخصة إلى جانب شروط تعجيزية أخرى.

– مع تصاعد نشاط رجال الإصلاح في مجال التعليم الإسلامي يزداد التضييق من الإدارة الفرنسية التي تقوم بتغريم المعلمين ومحاكمة بعضهم أو سجنهم، وإغلاق المدارس وتشريد التلاميذ.

– رأى رجال الإصلاح في تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية ولو في المستويات الأولى أمرا ضروريا ومخرجا للأمة الجزائرية من وحل الجهل والضلال، وسبيل التخلص من سيطرة الاحتلال على النفوس والعقول.

– لذلك كان الهدف الأول من تدريس العلوم الإسلامية ومعها اللغة العربية هو مواجهة المشروع التغريبي الفرنسي.

– ساهمت العديد من المدارس الحرة التي أنشئت عبر ربوع الوطن رغم الصعاب في إزالة الحواجز وتقريب الصفوف بخلق هدف مشترك وثقافة مشتركة.

– بدأ تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية بدايات متفرقة متعثرة ثم انتظم كثير منه تحت راية الجمعيات وخاصة جمعية العلماء المسلمين التي سعت جاهدة لتوحيد البرامج، واهتمت بتنظيم أموره الإدارية اهتمامها بجودة التكوين ومحتواه.

– لم يدخر رجال الفكر والإصلاح جهدا لإنجاح مشروع تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، سواء باستغلال الوسائل الداخلية أو بالاستعانة بما هو خارج الوطن.

– ابن باديس، والإبراهيمي، وغيرهما أسماء غيّرت مجرى تاريخ الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وهم جيل نشأ على حفظ القرآن الكريم وتعلم معانيه، ومخالطة السنة النبوية، والتعمق في تعلّم مختلف العلوم الإسلامية عن طريق قراءة واستيعاب أمهات الكتب، وحضور حلقات العلم، والاحتكاك بالعلماء بعد الهجرة لطلب العلم والجلوس إليهم بذهن متفتّح، وعقل ناقد ومستوعب، إنها روح ومميزات نقلوها من شخصهم وفكرهم للأجيال التي أشرفوا على تعليمها وتكوينها، فأثمرت جيلا أعلن الحرب على فرنسا بقوة القلم وقوة السلاح، شعاره "إما النصر، وإما الشهادة".

– أبرز لنا البحث من خلال بعض تفاصيله كيف استطاع أبناء ذلك الجيل الاستفادة من معارفهم العربية والإسلامية لإحداث التفعيل الحضاري لتلك المعارف والعلوم في مجتمع كادت تندثر هويته وحضارته.

وأما عن التوصيات التي يوجّه إليها هذا البحث فمنها:

– التعريف بخصال رجال الفكر والإصلاح في الجزائر لتقتدي بهم الأجيال سلوكا وعملا.

– الاستفادة من المنهج العملي والميداني لرجال الإصلاح في مجال التعليم الإسلامي والذي يتمثل في:

- التكوين الجيد للقائمين بمهمة التعليم، وللقائمين بمهمة التسيير.
- المتابعة الميدانية ودراسة واقع التعليم الإسلامي من أجل حصر مشكلاته، وإسعافه بالحلول الملائمة.
- إعداد الخطط البديلة لمواجهة المشكلات والعراقيل بشكل آني دون تسويف.
- ربط طلاب العلوم الإسلامية بالواقع الميداني وخلق فرص التواصل العملي مع المجتمع والتعرف على احتياجاته وتصوراته.

– تطوير مناهج تدريس العلوم الإسلامية وآلياته ليتلاءم مع عصر المتعلمين كما فعل رجال الإصلاح الذين طوّروا من مناهجهم بقدر ما وسعهم علمهم، وكيف بنا اليوم والمناهج التربوية علوم قائمة بذاتها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م
2. أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م
3. الكشافة الإسلامية، المركز الوطني للدراسات التاريخية للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، مطبعة هومز، دت
4. ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، الجزائر، 2014م
5. عمار الطالبي، آثار ابن باديس، مج1، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م
6. قاسم الشيخ بالحاج، التعليم القرآني في الجزائر ودوره في ترسيخ معالم الهوية العربية الإسلامية في عهد الاستعمار الفرنسي، مج1، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا 2، جامعة إفريقيا العالمية، دب، يناير 2019م
7. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر

الرسائل الجامعية:

8. أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016، 2017م
9. مخلوفي جمال، التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930- 1956، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، وهران-الجزائر، 2008، 2009م
10. حنان عدوان، الشيخ الطيب العقبي ودوره الإصلاحي، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012، 2013م
11. حنان قدودة، وسيلة قدة، التعليم العربي الحر بالجزائر وعلاقته بقانون 8 مارس 1938م، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016، 2017م

مقالات المجلات:

12. خير الدين بن ترزي، التعليم في الجزائر خلال فترة الاحتلال، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج4، ع7، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، الجزائر، 2013م
13. سليم بعلوج، تأثير التعليم العربي الحر في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1931- 1954 (تجربة جمعية العلماء المسلمين أنموذجا)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج12، ع1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف
14. فاتح مزردي وجهينة بوخليفي قويدر، المنهج الإصلاحي والمواقف السياسية للشيخ الطيب العقبي، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج10، ع2، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، جوان 2019م
15. فركوس صالح، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954- 1962، مجلة العلوم الإنسانية، مج أ، ع28، جامعة منتوري –قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2007م، ص 259.
16. محمد خالد اسطنبولي، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي وبعده الحضاري لثورة نوفمبر، مجلة المعيار، مج2، ع4، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2003م
17. مكالمة هاتفية معها أجريت يوم 16 ماي 2019 على الساعة: 17:41 من طرف نوال موساوي.